من أجل الخروج من المأزق: لا بد من حل السلطة الفلسطينية (2 من 2):

حل السلطة يعني عودة الصراع إلى مربعه الأول وهو ما لا تريده إسرائيل ولا الولايات المتحدة ولا الدول الغربية

حماس الساعية لإعادة إصلاح الوضع الداخلي والقضاء على الفساد ستواجه صعوبات ومحاولات إفشال لمشروعها

د. فايز رشيد*

وفي الإجابة عن هذه الأسئلة نقول:

تشكيل حماس للحكومة الفلسطينية، وبالرغم من توجه الحركة إلى القضاء على الفساد والمحسوبيات، ومحاولة التخلص من الإرث السلبي للحكومات السابقة، إلاّ أن من المعتقد أنها ستواجه إشكالات كبيرة على صعيد عملها، فإضافة إلى الضغوطات الدولية الممارَسة على حماس من أجل تغيير مواقفها، والعقوبات الإسرائيلية، إضافة إلى الضغوطات التي ستحاول عرقلة الحكومة الفلسطينية بهدف إعطاء الانطباع عنها بعدم قدرتها على التصدي للقضايا الحياتية للجماهير الفلسطينية، وفشلها في مد خيوط مع الإسرائيليين والولايات المتحدة والأوروبيين على صعيد السياسة الخارجية... فإنه وفي الواقع الفلسطيني سيتم خلق إشكالات لحماس من بعض الفصائل الأخرى، بهدف تعطيل مسيرتها وإفشالها. وفي الاجتماع الأول للمجلس التشريعي الفلسطيني، وبعد تقديم حماس لتشكيلتها الحكومية للرئيس عباس، فجأة يجري التنبه لتفعيل اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، وتُدعى إلى اجتماع من أجل مناقشة برنامج حكومة حماس، وكان قرارها برفضه ودعوة حماس إلى تعديله. ما حدث يؤشر إلى:

1 - موسمية توجه السلطة إلى هياكل منظمة التحرير ومؤسساتها، إذا ما ارتأت بأن هذا التوجه سيخدم منطلقاتها وخططها، وهذا لا يجوز. فبالرغم من الدعوات الجماهيرية والفصائلية الكثيرة للسلطة ولقادة فتح من أجل إصلاح وتفعيل منظمة التحرير بكافة مؤسساتها، إلاّ أنها وُضعت على الرف، بدليل أن المجلس الوطني الفلسطيني لم يعقد دورة له منذ عشر سنوات.

2 - التضارب بين مهمات منظمة التحرير وصلاحيات مؤسساتها وبين السلطة، فلا يخفى على أحد القرارات المتناقضة التي تُتخذ في المسألة الخارجية وتعيين السفراء، بين رئيس الدائرة السياسية لمنظمة التحرير، والذي كان يجري التعامل معه باعتباره وزيراً للخارجية، وبين وزير خارجية السلطة.

3 - موقف حماس من منظمة التحرير، والذي لا يعتبر أنها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وهذا يختلف عن الدعوات التي تطلقها الحركة من أجل إصلاح المنظمة.

تأتي الإشكالات المتوقعة لحماس على صعيد الممارسة العملية لحكومتها، ومن بينها أيضاً: بنية المؤسسات الحكومية الفلسطينية، ولعل أهمها الأجهزة الأمنية والأخرى الشرطية، وهي بشكل رئيسي مغلقة لفتح، وعلى الرغم من التناقضات القائمة بين جناحين (أو عدة أجنحة) رئيسيين فيها، إلاّ أن المسألة إذا ما تعلقت بالتعامل مع مسؤول حماسي في وزارة الداخلية، أو على رأس هذه الأجهزة فسيتوحد المتناقضون ضده من أجل إفشاله، يأتي كل ذلك وسط إرباك لحماس تجلى في تصريحات مسؤوليها بعد فوزها الكاسح في الانتخابات التشريعية، وانتقالها من صفوف المعارضة إلى مواقع السلطة، والتي من الصعب فيها المزاوجة بين مبدأ المقاومة وبين طبيعة الالتزام بما كانت السلطة قد عقدته وأبرمته من اتفاقيات مع الجانب الإسرائيلي والأطراف الخارجية، والتي حددت حماس منها موقفاً يشير إلى أنها ستتعامل مع هذه الاتفاقيات بمسؤولية، وانطلاقاً من خدمتها لمصالح الشعب الفلسطيني. كان ملاحَظاً أن حماس، ومنذ ظهور نتائج الانتخابات الفلسطينية لم تقم بعملية عسكرية واحدة ضد الإسرائيليين، وسط تحليلات تضفي على (حماس) البراغماتية في الممارسة.

نقول ذلك بهدف الإشارة إلى طبيعة الصعوبات التي ستنشأ في المرحلة القريبة القادمة، والتي ليس من السهولة التعامل مع معطياتها، بما يصب في مجرى صعوبة ممارسة حماس للمقاومة.

لكل الحقائق التي وردت فيما سبق، والتي تعبّر عن وجود سلطة مكبلّة تماماً، تراوح في مكانها في أبعد الحالات، وتتراجع سنة بعد أخرى. وحتى ومع وجود حكومة بديلة تمثلها حماس، فإن انعكاسات إيجابية تتبلور على صعيد الوضع الداخلي.

أما على صعيد الحقوق الوطنية الفلسطينية، فمن الواضح أن العدو الصهيوني متمترس في مواقفه بالنسبة لهذه الحقوق، فهو لا يراها بأكثر من حكم ذاتي يمارسه الفلسطينيون بعيداً عن الحق في العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة المستقلة وعاصمتها القدس، وهي الأهداف التي يسعى إليها شعبنا.

أما بالنسبة لما يتردد على ألسنة بعضهم، من أن إسرائيل والولايات المتحدة وبعض الأوساط الغربية تحاول جاهدة إسقاط السلطة الفلسطينية، فهو كلام يبتعد عن الحقيقة، لأن في وجود السلطة (وكما قلنا) إعفاء لإسرائيل من مهماتها تجاه شعب تحتله: مهمات تعليمية وصحية وحياتية أخرى، إلى جانب تواجد قوات عسكرية في كل المناطق الفلسطينية على الدوام. وفي ظل وجود مقاومة جماهيرية مثل الانتفاضة الشعبية، فإن إسرائيل مطالَبة بمضاعفة حجم هذه القوات، وهذا مما يسبب إرهاقاً للعدو في المجالين الاقتصادي والعسكري، إلى جانب الصورة الحقيقية التي ستبدو عليها إسرائيل في العالم، وهي أنها ما زالت تحتل الفلسطينيين ومناطقهم، وبلا أية رتوش (ولنتذكر أحداث الانتفاضتين الأولى والثانية وتداعياتهما على الواقع الإسرائيلي في مختلف المناحي).

وفي هذا المجال أستذكر موقفين: الأول، وهو الانزعاج وصولاً إلى نمط من الاكتئاب أصاب إسحق رابين بعد انتصار اسرائيل في حرب عام 1967، وكان السؤالان اللذان يطرقان على رأسه، وكما دوّن ذلك في مذكراته، وكما تناقلته مصادر إسرائيلية عديدة: كيف ستتمكن إسرائيل من السيطرة على كل هذه المناطق الشاسعة التي احتلتها؟ وكيف ستتمكن من السيطرة على أعداد كبيرة من الفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة؟ ولذلك نظر رابين بتشاؤم إلى النتائج التي حققتها إسرائيل في الحرب.

الموقف الثاني، لقد انتقد الرئيس الجزائري حينها هواري بومدين موافقة الدول العربية على قرار وقف إطلاق النار مع إسرائيل، منطلقاً من وجهة نظر تتلخص في أنه سيكون مقتل إسرائيل في المزيد من توسعها الجغرافي، فهي لا تستطيع ديموغرافياً أو إمكانياً من السيطرة على مواقع شاسعة، ثم إن إبقاء حالة الاشتباك مع العدو لا يتطلب وقفاً لإطلاق النار.

ولعل القاصي والداني يعرف حقيقة وهي: أن إسرائيل لم تبنِ مستعمرة واحدة في المناطق الفلسطينية المحتلة إلاّ بعد اتفاقيات كامب ديفيد التي وقّعتها مع مصر، بمعنى أن اتفاقيات ما يسمى بالسلام مع إسرائيل، يجري استغلالها من قبلها لبناء المزيد من المستوطنات وتوسيع الأخرى القائمة.

لكل ذلك، فإن حل السلطة الفلسطينية بكافة أجهزتها ومؤسساتها «ضرورة موضوعية»، باعتبارها طريقاً وحيداً للخروج من المأزق الحالي، ولتتولى إسرائيل مهامها. هذا ليس انطلاقاً من أن حماس على أبواب تشكيل حكومتها مثلما هي خلفية واضحة لكثيرين يطالبون بحل السلطة بهدف إفشال الحركة أولاً وأخيراً، وهو أيضاً ليس رغبةً في رؤية القوات الإسرائيلية في شوارع مدننا وقرانا، وهي قادرة على الوصول إليها في الوقت الذي تشاء، ولكن من أجل أن يظهر الاحتلال على حقيقته، فإسرائيل تضرب عرض الحائط بالقوانين والاتفاقيات الدولية واتفاقياتها مع السلطة، وبالأمم المتحدة وبمحكمة العدل الدولية وقراراتها، واستمرأت ذلك وسط صمت دولي يصل حدود التآمر معها.

كل ذلك سوف لن يعني شيئاً إن لم يرتبط ببرنامج تتفق عليه كل الفصائل الفلسطينية، سواء في إعادة بناء حقيقية: تفعيل حقيقي وإصلاح لمنظمة التحرير الفلسطينية بكل مؤسساتها وهياكلها، أو في إنشاء قيادة نضال وطني فلسطيني (قيادة موحدة) ومن كافة ألوان الطيف الفلسطيني، تضع نصب أعينها تولي مسؤولية النضال الفلسطيني وطنياً ومن كافة زواياه: المقاومة ببعديها؛ الجماهيري (انتفاضة ثالثة)؛ والمقاومة المسلحة القادرة على إيلام العدو، واعتماد الثوابت الفلسطينية كحد أدنى للحقوق الوطنية، وأن أية مفاوضات مستقبلية تجرى، تتخذ من هذه الثوابت قاعدة استراتيجية في حركتها السياسية. إن ذلك يستدعي: نزول كافة الأجهزة العسكرية للفصائل الفلسطينية تحت الأرض، والعودة إلى أساليب العمل السري، وإيجاد شكل (ولو بالحد الأدنى) من التنسيق بين هذه الأجهزة.

ومن مهمات القيادة الموحدة أيضاً: الإشراف على الشأن الحياتي للفلسطينيين في مختلف مناحيه من خلال البلديات والأشكال الأساسية المؤسساتية الموجودة، أو التي يجري بناؤها والقادرة على القيام بالمهمات الموكولة إليها.

وفي الشأن المالي، فإن منظمة التحرير الفلسطينية الفاعلة والمؤثرة، والقادرة على أن تكون بؤرة استقطاب لفلسطينيي الشتات، وللجماهير العربية، والموكولة إليها مهمة الاتصالات الخارجية: عربية وإسلامية ودولية، لمؤَهلةٌ أن تقوم بالمهمة المالية، هذا إلى جانب ما تستطيعه الفصائل الفلسطينية من قدرات ذاتية على صعيد التحصيل المالي لسد احتياجات مهماتها وأعضائها، إلى جانب مساهمتها في سد الاحتياجات لجماهيرنا في الضفة الغربية والقطاع.

إن حل السلطة، يعني عودة الصراع إلى مربعه الأول، وهو ما لا تريده إسرائيل ولا الولايات المتحدة ولا الدول الغربية، وهو بالعكس من ذلك، يشكل نقاط ضغط عليها.

إن انتفاضة ثالثة ستكون بمثابة انتفاضة الخمس دقائق الأخيرة ما قبل النصر، وبها وبالمقاومة سنجبر إسرائيل على الاعتراف بحقوق شعبنا في العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة المستقلة وعاصمتها القدس، وسنجبرها على الإفراج عن كافة معتقلينا وأسرانا من سجونها، دون ذلك سنبقى نراوح وفي المكان نفسه، في ظل الحقائق التي تصنعها إسرائيل على الأرض يومياً.

* كاتب وباحث فلسطيني يقيم في الاردن.

ذكريات طفولة بغدادية: سياسة وتاريخ

حملت نبأ مقتل الملك غازي الى مدرستي فنلت «بسطة عراقية» ما زلت أحمل آثارها الى اليوم في «مقهى حمد» ذي الصندوق العجيب.. كان يجتمع الأدباء والرواد لسماع خطابات «قصر الزهور»

علاء الدين الأعرجي*

■ لن أنسى ذلك اليوم، حين كنت، في طريقي إلى المدرسة، مُثْقلا بكراساتي وكتبي. في ذلك الصباح الربيعي المشرق، جلب نظري صدفة، أن العلم العراقي، في مركز الشرطة مُنكَّس إلى النصف، فتوقعت شرا. ثم لاحظت حركة غير طبيعية تجري في مدخل المركز. فجمَّعت بقايا شجاعتي، غير المعهودة، وأنا الطفل الضئيل ابن العاشرة، وغامرت بأن أقف أمام ذلك الشرطي، الطويل العريض، الذي يحمل تلك البندقية «العُصمليَّة» الأثرية التي تتحداه طولاً، ضاربا له سلاما رسمياً مقلداً فيه العسكر، وأسأله بصوت متهيب لاهث: «عمي، شكو شَصار؟ »، (أي ماذا حدث وصار، يا عمّ؟). وكنت أتوقع أن ينهرني. ولكنه قال بصوت لطيف (متهدج، تخنقه العبرة:« إبني، الملك غازي انجِتِلَ!». أي قُتِل). فتركته، وأنا أختنق بعبراتي، راكضا في طريقي إلى المدرسة.

وكان من سوء حظي، وسوء تقديري، أن أكون أول من يُبلغ الطلبة بهذا الحادث المشؤوم، فتلقيت «بَسطَه عراقية»، (أي علقة، باللهجة المصرية) لن أنساها أبدا، حتى أنقذني المدير، الذي واساني، ونَهَرَ الأطفال الآخرين، ووعد بعقابهم، قائلا ما معناه: «يجب أن تشكروا هذا الطالب المِقدام على شجاعته، لأنه اكتشف الحقيقة المُرّة، من مصدرها الصحيح، قبل أي واحد منكم، وأنا أشكره على شجاعته وجهده، وكنت على وشك أن أبلغكم بها شخصيا بكل أسف وحزن». وهنا انقلب ميدان المعركة فجأة، إلى ميدان «مناحة». وإذا بالمدير يصرخ بهم قائلا: «اتركوا البكاء والعويل للبنات، وتعاملوا مع هذه الكارثة كرجال، سنبلغكم بما يمكن أن تفعلوه للتعبير عن مشاعركم هذه». ثم أخذني المعلم الفاضل شاكر حبيب إلى غرفته ليداوي جروحي وكدماتي.

بعد مقتل الملك الشاب، غازي الأول، (1939/3/4) الذي كان محبوبا جدا من جماهير الشعب العراقي، لمواقفه الوطنية والعروبية المشرِّفة، في حادث سيارة، انتشرت الهمسات ثم الإشاعات فالتأكيدات، بأن الإنكليز رتبوا له هذه الحادثة، لأنه تمرد عليهم، ذلك لأنه كان يتحالف مع الجبهات الوطنية المعارضة، وخاصة مع قيادات الجيش وصغار الضباط الذين يحملون أفكارا وطنية وقومية. بل أسس إذاعة خاصة في قصر «الزهور»، وأذاع، بنفسه أحيانا، خطبا وبيانات تندد بالاستعمار الفرنسي لسورية ولبنان، وتهاجم المخططات الصهيونية والاستعمارية في الوطن العربي. وكان الحلفاء (بريطانيا العظمى وفرنسا)، قد أعلنوا عشية الحرب العالمية الثانية أن كل من يقف ضد سياستهم، يضع نفسه في خندق العدو النازي. لاحظ ما أشبه اليوم بالبارحة، من تصريحات المسؤولين الأمريكيين، بعد أحداث 2001/9/11.

وكان نوري السعيد يكره الملك غازي. ويُروى عن وزير الخارجية العراقي ناجي شوكت، آنذاك، قوله :«إن موت الملك غازي جاء نتيجة لعبة قذرة كان وراءها نوري السعيد». وكان من المعروف تماما أن هذا الأخير هو احد ازلام بريطانيا المقربين. وقد تولى رئاسة الوزارة أكثر من أي رئيس آخر. ويعتبر أبرز وأقوى سياسي عراقي مخضرم، تكرهه عامة الشعب وتعتبره عميلا للإنكليز. ويذكر عبد الرزاق الحسني في كتابه «تاريخ العراق السياسي الحديث»، شيئا من «صلافة» هذا الرجل حين عارضه أو حاسبه بعض النواب المعارضين، عندما كان رئيسا للوزراء، فوقف منتصبا في مجلس النواب، وقال متحديا ومهددا جميع النواب: « أنا أراهن كل شخص يدعي بمركزه ووطنيته أن يدخل هذا المجلس، قبل أن ندخله نحن في قائمة الحكومة، مهما كان وراءه من المؤيدين» .ويقال انه كان يعلم فاكهته المفضلة من سوق «الأمانة» المزدحم في وسط بغداد، دون حراسة تذكر. ويروى أنه كان يقول« اليد التي ستقتلني لم تخلق بعد». كما كان يردد قولته المشهورة «دار السيد مأمونة». ويعتبر نفسه السيد طبعا.

والمفارقة الكبرى أن نوري السعيد قُتل، على يد الجماهير الغاضبة، بعد أيام من اندلاع ثورة 14 تموز 1958، حين كان يحاول الهرب متنكرا بزي امرأة محجبة. ومزقت الجماهير الحاقدة جثته إربا وسُحلَت بقاياها في شوارع بغداد!!. وكان نجله صباح، مع الوصيِ عبد الإله، قد نالا نفس المصير قبله بيوم أو يومين (أقول ذلك بكل حسرة وأسف لهذه الوحشية الجماهيرية. كما أن مثل هذه الأحداث أثبتت لي، في وقتها، صحة نظرية المفكر الفرنسي غوستاف لوبون في كتابه سيكولوجية الجماهير التي تصبح إجرامية ووحشية أحيانا).

وقد حدثت تلك المأساة، ويا للمفارقة، في «ساحة النصر» التي نُصِّبَ فيها تمثال، أنبل وأخلص رئيس وزراء عراقي، عبد المحسن السعدون، الذي انتحر في 1/13/ 1929، بعد أن ترك للعراقيين أبلغ واخلص وصية، وعِبرة.

ذكريات عن الملك غازي وقهوة حمد

وعودة إلى ذكرياتي الطفولية مع مليكنا المحبوب غازي الأول، أتذكر أن والدي كان يصحبني، أحيانا، إلى المقهى الشعبي القريب من البيت للاستماع إلى حديث الملك غازي. وكانت «قهوة حمَدْ» الشعبية، ذات «التخوت» (جمع تَخَتْ) أو الأرائك الخشبية المتداعية، تعج بالرواد، منذ ساعات المساء الأولى، وهي المكان الوحيد في «حي الكرادة الشرقية» حيث يوجد فيها ذلك الصندوق العجيب «الراديو». فكان الرواد ينتظرون بلهفة، انطلاقة «إذاعة قصر الزهور»، من الحارثية، حيث يسكن الملك، وذلك قبل أن تنشأ الإذاعة الرسمية العراقية.

وحين يبدأ الملك بالحديث تتوقف جميع أنشطة الرواد: الصخب وضربات قطع لعبة النرد والدومينو على الطاولات المتهالكة، والمناقشات الحادة، حول سؤال كان يطرح بكثرة: أيهما أكثر سوءا، الأتراك أم الإنكليز؟ فضلا عن توقف صراخ الحاج حمد: «جاي سنكين للحج مرتضى، شكَر زايد لبو حسين، «نركيلة» تتن معْسَل «جللشيخ صنَكْور » (أي شاي مُركَّزَ للحاج فلان)، وسكر زيادة لأبي كذا، و «شيشة» مع تبغ شيرازي مخمر بالعسل للشيخ كذا. كما يكف الحاج مِجْبِر الكصاب (القصاب)، ذو الشخصية المتميزة والعقال «المُكَنْكَر»، يتوقف «مؤقتا، عن القَسَم الغليظ بشاربه الطويل المفتول، وعن توزيع القهوة العربية، التي كان يُعتِّقُها عدة أيام بنفسه على نار من الجمر الهادئ، في «دلال» (جمع دلَّة إبريق القهوة العربية التقليدية، ذو الشكل الأنيق الخاص)، كبيرة أصلها من النحاس الأحمر (الصفِرْ) ولكنها أصبحت سوداء متفحمة. ثم يخلط محلول القهوة المعتق الذي يسمى«شَرْبَتْ»، بنسب معينة يتقن مزجها، من هذه «الدِلال» ليضعها في «دلَّة» صغيرة من النحاس الأصفر البراق. يرفعها من قبضتها الساخنة، بمنديل أحمر، ويطوف بها بكبرياء. ويحمل بيده اليسرى قرابة عشرة فناجين صغيرة خاصة بالقهوة العربية، ويدور على الزبائن «مُطقْطِقا» بها بمهارة وبألحان مثيرة. ومفتخرا بترديد بيت بسيط قاله له والدي يوما:

قهوةُ الحاجِ مِجْبِرِ القَصَابِ تـُنعشُ الروحَ في لِقا الأحبابِ

ويجلس أبي عادة في ركن منزو هادئ، يكاد يكون محجوزا للأدباء. ويعرف الصبي«شهيد»، نـُدل المقهى، ابن الحاج حمَدْ، مشروبي المفضل: «السيفون»، وهو شراب أحمر فوَّار لذيذ جدا، يقابل، مع الفارق Soft drink بل أفضل، (أرجو أن لا يفوت القارئ أن تسمية الولد شهيد، ذات مغزى معين وواضح فهو مكرس للشهادة منذ ولادته تيمنا بشهادة الحسين (ع)، مما يؤكد نظرية «العقل المجتمعي»، التي تحدثت عنها في كتابي «أزمة التطور الحضاري». والمفارقة الكبرى انه استشهد فعلاً حين ابتلعته أمواه دجلة). وكثيرا ما يتوافد أصدقاء الوالد المفضلون، ومنهم، على ما أذكر، المؤرخ عبد الرزاق الحسني، (مؤلف عشرات الكتب منها سلسلة كتب «تاريخ الوزارات العراقية»، من عدة مجلدات، و «تاريخ العراق الحديث»)، والدكتور الأديب عبد الحميد الراضي(مؤلف المسرحيات الشعرية السياسية الرائعة، ومنها مسرحية «ثورة العراق الكبرى»، و «ثورة العرب الكبرى»؛ والدكتور أحمد سوسة صاحب كتاب «في طريقي من اليهودية إلى الإسلام»، والكتاب القيّم «العرب واليهود في التاريخ» والأستاذ الحاج عبد الكريم محسن الربُيعي (وكان أصغرهم سنا، ومن تلاميذ والدي السابقين، ثم أصبح أستاذا ومحاميا معروفا ومديرا عاما، فيما بعد).

وقد أثارت خطب الملك غازي المشاعر الوطنية والقومية للشعب العربي العراقي، فظفر هذا الملك الشاب بحب مختلف طبقات الشعب، أكثر بكثير مما كان يحلم به أبوه، الملك فيصل الأول، الذي توفي، في سويسرة حيث كان يعالج في عام 1933. كما أخذ الملك الشاب يحاول استقطاب العناصر القومية، العسكرية والمدنية، التي أصبحت تشكل خطرا واضحا على المصالح البريطانية، خاصة وقد بدت بوادر الحرب العالمية الثانية واضحة في الأفق. والأرجح أن سلوك الملك العروبي هذا قد كلفه حياته. شأنه شأن الألوف من الشهداء الآخرين.

اليوم الذي شُيع فيه الملك الفقيد، يعتبر يوماً مشهودا في تاريخ العراق، والأمة العربية،إذ ودعته جماهير الشعب الهادرة بحسرة وغضب، وعمت التظاهرات والمسيرات جميع أرجاء البلاد. وعلمنا، في اليوم التالي، أن الجماهير الغاضبة قد هجمت على مبنى القنصلية في الموصل، ومزقت القنصل البريطاني إربا.

شاركتْ مدرستنا في التشييع بجميع منتسبيها تقريبا، وعلى رأسهم مديرها والمعلمون، وكان الفراشون أكثرنا تحمسا. وقد أراد المدير «الأستاذ الفاضل حسن محمود» أن يعوضني عن تلك «العلقة»، الملعونة، التي كانت آثارها ما تزال بادية على وجهي وعيني المتورمة. فمع أنني كنت طفلا ضعيفا، وأقصر كثيرا من صديقي «علي العيثاوي» الذي يكبرني سنا، والذي حاول حمايتي من الضرب؛ إلا أنه شرفني معه بحمل شعار المدرسة ولافتتها التي تقول «مدرسة الكرادة الشرقية الابتدائية للبنين، تنعى بحزن وألم مليكنا الشهيد جلالة الملك غازي الأول». وصرنا ننشد مع الجماهير الغاضبة هذا البيت، ملُحَّنا، باللهجة العامية العراقية:

الله واكبر يا عرب، غازي انفكد (فـُقِدَ) من داره
اهتزت اركان السِمة (السماء) من ضربة السيارة

وأرجو أن يلاحظ القارئ، أن الخطاب/ النعي هذا، موجه إلى العرب جميعا. وهو خطاب تلقائي مرتجل، بلا تكلف ولا توجيه أو تسييس، بل نابع من مشاعر الأعماق الجماهيرية الهادرة. لأن العراقيين الذين يتحدثون العربية، بوجه عام، يعتبرون أنفسهم عربا، قبل كل شيء، أي ينتمون إلى الأمة العربية، قبل أن يكونوا عراقيين. لأن العراق إقليم من أقاليم الوطن الكبير. كما أنه يشير إلى «ضربة السيارة» لا «صدمة السيارة»، إشارة إلى أن السيارة قد ضُربت، أولا، بعامل خارجي.

* محام وباحث عربي من العراق مقيم في نيويورك

مقاه بغدادية في العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي